



كتب الرحلات والجغرافية في منظور المستشرقين (كراتشكوفسكي انموذجاً)

أ.م.د. أحمد نشمي جواد العليافي
الجامعة العراقية/ كلية الآداب/ قسم التاريخ
Ahmedjiyad1980@gmail.com.

ملخص البحث

من خلال هذه الدراسة يتبين لنا ما اسهمت به كتب الرحلات الجغرافية العربية والاسلامية في تطوير العلوم الجغرافية عند الدراسات الغربية والشرقية واعتبروها مصادر اصيلة لفهم واقع البلدان والمدن والاماكن، كما وساعدتهم هذه الكتب في توثيق الحياة اليومية والعادات والتقاليد والثقافات للشعوب التي زاروها الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين، وقدمت معلومات هامة عن التجارة وطرقها والمناطق الاقتصادية التي كانت تربط العالم الاسلامي بالعالم الغربي، اضافة الى مساهمتها في خلق جسر بين الحضارات من خلال تقديم شعوب مختلفة بعضها عن بعض، ووفرت معلومات قيمة لعلماء الجغرافية في العالم الغربي والشرقي في ميدان الجغرافية. وقد اثارت هذه الكتب خيال القراء وشجعتهم على استكشاف العالم، وقد تم استخدامها كمناهج تعليمية في المدارس والجامعات الشرقية والغربية، كما واشاد المستشرقون بكثير من صفات هذه الكتب مثل الدقة في الوصف واسلوبها الادبي والروح العلمية فكانت جزء مهم في فهم التراث العلمي.

الكلمات المفتاحية: المستشرق كراتشكوفسكي، كتب وكتاب الرحلات والجغرافية

Travel and geography books from the perspective of orientalists (Kratchkovsky as a model)

Assistant Professor Dr. Ahmed Nashmi Jiad Al-Aliawi
Iraqi University/College of Arts/Department of History
ahmedjiyad1980@gmail.com.

Abstract

Through this study, we can see the contribution of Arab and Islamic geographical travel books to the development of geographical sciences in Western and Eastern studies, and they considered them authentic sources for understanding the reality of countries, cities and places. These books also helped them document the daily lives, customs, traditions and cultures of the peoples visited by Arab and Muslim travelers and geographers, and provided important information about trade, its routes and the economic regions that linked the Islamic world to the Western world, in addition to their contribution to creating a bridge between civilizations by presenting different peoples from each other, and provided valuable information to geographers in the Western and Eastern worlds in the field of geography. These books sparked the imagination of readers and encouraged them to explore the world, and they were used as educational curricula in Eastern and Western schools and universities. Orientalists also praised many of the qualities of these books, such as accuracy in description, literary style and scientific spirit, as they were an important part of understanding the scientific heritage.

Keywords: Orientalist Krachkovsky, books and travel and geography books

المقدمة

لقد عام للعرب والمسلمين الرحالة والجغرافيين دوراً كبيراً في تأسيس العلوم والثقافة العربية والغربية، ولقد ابدى المستشرقون تقديراً واشادة كبيرة بمؤلفات الرحالات والجغرافية العربية، إذ رأوا فيها مصادر

قيمة لفهم العالم بأسره وثقافته المتعددة بالإضافة الى كونها وثائق جغرافية وتاريخية غنية بالمعلومات، وعلى اثر ذلك تناولت هذه الدراسة عدد من المصنفات العربية والاسلامية في ميدان الرحلات والجغرافية، واقتصرت تلك الدراسة على كتاب تاريخ الادب الجغرافي العربي للمستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي الذي يحتل مكانة ممتازة بين جميع الدراسات الاستشرقية للادب الجغرافي العربي والاسلامي، كذلك اقتصرت الدراسة على عدد محدود من كتب الجغرافيين العرب والمسلمين من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي الى القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي دون ذكر اسم المؤلف ونشأته وحياته وذلك لنقل المضمون والابتعاد عن الاطالة والاسهاب وسعة الدراسة، وقسم البحث الى مقدمة وثلاثة مباحث وملخص وتضمن المبحث الاول المستشرق كراتشكوفسكي والمبحث الثاني تناول مؤلفات القرن الثالث والرابع الهجري اما المبحث الثالث تناول مؤلفات القرن الخامس والسادس الهجري.

المبحث الاول **المستشرق كراتشكوفسكي ولادته ونشأته وفاته**

اغناطيوس جوليا نوفتش كراتشكوفسكي مستشرق روسي(كحالة، 1993:ج1، ص388)، ولد في 16 مارس عام 1883م في مدينة فيلنا وكان ابوه جوليا نوفتش مديراً لمدرسة المعلمين في نفس البلدة، ويقوم بتدريس بعض اللغات الاوربية وتاريخ حضارة الغرب ثم عين مفتشاً عاماً للمدارس في اسيا الوسطى(بدوي، 1993:ص468)، فانتقل بأسرته الى مدينة طشقند⁽¹⁾، وكان عمره سنتان واول ما تطلع عليه كراتشكوفسكي المساجد والاسواق الشرقية وتكلم اللغة الازبكية وهو طفل(الزركلي، 2002: ج1، ص336)، وفي هذا الوسط الاسلامي نشأ كراتشكوفسكي وتعلم اللغة الفارسية الى جانب اللغة الازبكية، وتركت الحياة في طشقند اثراً عميقاً جداً في نفس الفتى كان من شأنه ان يولد فيه النزعة الى الشرق والولوع باللغات الاسلامية الاخرى(بدوي، 1993: ص468)، وبعد خمس سنوات عادت اسرته من طشقند الى موطنها الاصلي فيلنا حيث بدأ كراتشكوفسكي يتعلم اللغة الروسية وكان جده قد جمع مكتبة غنية وصفها في غرفة صغيرة له في الريف فولد في ذلك شغف كراتشكوفسكي بالاطلاع واقتناء الكتب(بدوي، 1993: ص468)، ثم دخل المدرسة الثانوية في الذي تخرج منها عدد من المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات العربية والاسلامية، وقد اهتم باللغات الكلاسيكية فأتقنها في هذه المدرسة، وذات يوم اطلع في مكتبة المدرسة على كتاب نحو اللغة العربية تأليف سلفستر دي ساسي فاخذ في تعلم اللغة العربية(بدوي، 1993: ص468).

ثم التحق في معهد اللغات الشرقية بجامعة بطربسرج حيث تعلم على دراسة اللغة العربية والتركية والتتارية والعبرية والحبشية القديمة، وارسل في بعثة علمية الى الشرق العربي فأقام عامين (1908م-1910م) في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر(كحالة، 1993، ج1، ص388)، ولما عاد الى بلاده عين مديراً لمكتبة فرع اللغات الشرقية في كلية لينغراد ومدرساً للعربية في نفس الكلية واصبح من اعضاء اكااديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات سنة(1921م) وانتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً مراسلاً سنة(1923م) (الزركلي، 2002: ج1، ص336)، وكذلك اهتم بدراسة المخطوطات ففي مصر كان يتردد على قسم المخطوطات وعلى مكتبة الجامع الازهر وفي هذه المكتبة وجد رسالة نحوية في الاعراب من تأليف ابو العلا المعري وقد نشرها في سنة(1932م) ضمن منشورات المعهد الشرقي، ومنذ ذلك الحين اهتم كراتشكوفسكي بجميع المخطوطات العربية(بدوي، 1993: ص470)، ومن اثاره العلمية التاريخية (خلافة المهدي العباسي) وكتاب الادب الجغرافي العربي، اما وفاته فكانت سنة(1951م) في مدينة لينغراد(الزركلي، 2002: ج1، ص336).

المبحث الثاني **مؤلفات القرن الثالث والرابع الهجري**

(1) طشقند: احد مدن الروس الواقعة في ناحية الجنوب، ينظر: (ابن خرداذبه، 1889: ص35).

أولاً: كتاب عجائب الدنيا وقياس البلدان لمؤلفه سليمان التاجر

يعتبر كتاب عجائب الدنيا وقياس البلدان لمؤلفه سليمان التاجر من أهم الآثار العربية الأولى عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي وبحر الصين خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (فوزي، 1943: ص21-29)، ويذكر كراتشكوفسكي أن رحلة سليمان اعتبرها المؤرخون من أولى الرحلات التي كانت خارج الدولة الإسلامية حيث ترجع إلى حوالي سنة (237هـ/ 851م) (كراتشكوفسكي، 1963: ص141).

وتتميز كتاب عجائب الدنيا بالوصف الدقيق لمراحل الطريق البحري الذي كان يربط العالم الإسلامي ببلاد الهند والصين، مما أفاد هذا الوصف بعض المستشرقين أن تتبعه على الخارطات الحديثة وهو خير دليل للتجار العرب والفرس الذاهبين إلى الصين (كراتشكوفسكي، 1963: ص141)، ولم يقتصر الكتاب في وصفه على ذكر المراحل وتقدير المسافات بالأيام وأحياناً بالفراخ بل ترك أيضاً وصفاً حياً للسواحل والجزر والموانئ المختلفة والمدن وسكانها والمحاصيل والمنتجات وبلغ التجارة، كما أن المعلومات التي أوردها عن مدينة كانتون⁽¹⁾ تتميز بالدقة والتفصيل (كراتشكوفسكي، 1963: ص141)، كما اعتبر كتاب (عجائب الدنيا) أول كتاب عربي نقل إلى الفرنسية في بلاد الغرب عن الهند والصين (لوبون، 2012: ص700)، بالإضافة إلى ذلك تميز الكتاب بالوصف الصادق للطرق التجارية التي كانت تربط بلاد الإسلام بالهند والصين، كما تميزت بالأخبار الوافية عن المعلومات التجارية بين المسلمين والصين خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (حسن، 2012: ص20)، ويذكر كراتشكوفسكي أن أحداث هذه الرحلة اعتمد عليها ابن الفقيه صاحب كتاب البلدان في وصف بلاد الهند والصين وأنساب القصص في تلك البلدان إلى سليمان التاجر مباشرة (كراتشكوفسكي، 1963: ص141).

وقد قسم الكتاب إلى فصلين تناول في كل فصل مواضيع متنوعة وحافلة بالمعلومات الجغرافية والفلكية والاجتماعية السائدة في ذلك الوقت، كذلك تحدث عن بحار الهند والصين والجزر التي تقع عليها وأعطى صورة واضحة اتجاه ذلك (التاجر، 2005: ص28-34).

ثانياً: كتاب المسالك والممالك لمؤلفه ابن خرداذبه (ت272هـ/ 885م)

أحتوى هذا الكتاب معلومات قيمة في مختلف الجوانب منها نظام الحكم والنظام المالي، ويعتبر أحد الكتب الجغرافية الإسلامية القديمة التي كتبت باللغة العربية وأعدّه بعض المؤرخين بأنه دليل يستعين به المسافرين في الاهتداء إلى الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة عند مدينة الأبله في البصرة حتى يصل إلى الهند والصين كما يشتمل هذا الكتاب على إحصاءات وبيانات وافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها (رمضان، د.ت: ص55-56).

أما قيمة الكتاب (المسالك والممالك) يذكر كراتشكوفسكي أنه يبدأ وفقاً للتقليد المعروف بالمعلومات المعهودة من محيط الجغرافيا الرياضية وخاصة وصف شكل الأرض كما لدى بطليموس، كذلك كرس الكتاب جزءاً كبيراً على سواد العراق فيذكر بقسمه الإداري وأنواع الضرائب التي تجبى منه، مع إيراد ملاحظات عن تاريخها (كراتشكوفسكي، 1963: ص155-156).

أما القسم الرئيسي من الكتاب فيشمل وصف الطرق وذلك بدرجات متفاوتة في التفصيل فيبدأ بالطرق التي تخرج من بغداد شمالاً إلى آسيا الوسطى وجنوباً إلى الهند، ويصحب ذلك ملاحظات عابرة عن القسم الإداري والخراج مع استشهادات شعرية في الكلام على الامكنة أحياناً، ويمتاز بحيوية أكثر وصفه الطريق البحري إلى الهند والصين حيث يبدوا واضحاً تأثير القصص البحرية ومن خلال هذا الوصف يبدوا واضحاً اهتمامه بموصلات البحار والجزر، كما يذكر بالتفصيل كيفية الحصول على الكافور (كراتشكوفسكي، 1963: ص156).

(1) كانتون: إحدى مدن الصين الكبيرة امتازت بالتجارة مع البلاد الإسلامية، (المسعودي، 1989: ج1، ص618).

اما ما يتعلق بالغرب فانه يصف الطريق الى الاندلس ويسهب في وصف الطرق المؤدية الى بيزنطة مع ايراد التفاصيل، كذلك وصفه المسهب لروما فيرتبط بالمصادر المسيحية(كراتشكوفسكي، 1963: ص157).

ولم يقتصر كتاب المسالك والممالك على وصف الطرق بل اتبع ذلك اقساماً عديدة تحمل على الاعتقاد بانها زيادات متأخرة واضيفت بمرور الزمن مثلاً كالحديث عن تقسيم الارض الذي يحفل بأخطاء عديدة وعن عجائب العالم وعن الابنية المشهورة حين يورد قصة فتح الاهرامات في عهد ابن طولون(كراتشكوفسكي، 1963: ص157).

ومن المعلوم ان كتاب ابن خردذابه يقوم على عنصرين متميزين كل التميز عن بعضهما البعض فمن ناحية يقابلنا عرض جاف للمادة الرسمية ولكنه يمتاز بأهمية كبرى، ومن ناحية اخرى نرى مجموعة من الغرائب الجغرافية المختلفة، ولا نحس من جانب المؤلف اية محاولة لصهر هذه المادة وصبها في قالب متجانس، فضلاً عن الكتاب يفتقر الى الكثير من ناحية التبويب وقد كان بمقدور المؤلف وبلا شك الاطلاع على الوثائق الرسمية اي الارشيف الحكومي كونه كان احد الموظفين في الدولة العباسية(كراتشكوفسكي، 1963: ص158).

وعلى الرغم من ذلك كان لاهتمام المؤلف بالرحلات كبيراً حيث حفظ لنا مادة مفيدة خاصة فيما يتعلق بوصف الطرق في عهود مبكرة، وكان تأثيره على الادب الجغرافي التالي كبيراً جداً فأخذ عنه من المؤلفين المتقدمين منهم اليعقوبي وابن رسته وابن حوقل والمقدسي والبيهقي والمسعودي وذلك عن مخطوطه ثالثة هي افضل المخطوطات جميعاً(كراتشكوفسكي، 1963: ص158).

بالإضافة الى ذلك تميز منهج الكتاب بذكر ملوك العراق والروم والصين وحصاء المدن الواقعة ضمن اقاليم المشرق وبلاد الصين(ابن خردذابه، 1889: ص15-25).

ثالثاً: كتاب البلدان لمؤلفه اليعقوبي(ت292هـ/904م)

ان كتاب البلدان هو نتاج جهد اليعقوبي الذي كرس حياته ووجدانه من اجل ان يكتب ويصنف كتاباً جغرافياً مستمداً من الواقع الطبيعي والاجتماعي الذي شاهده بنفسه وعاش اوضاعه وظروفه ولذلك جاء كتاب البلدان صورة واضحة ناطقة معبرة عكس كل الواقع(احمد، 2021: ص46)، وقد بدأ اليعقوبي بذلك في مقدمته قال فيها "اني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني، وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغربي، فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره، سألته عن بلده...، ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه، وأستظهر بمسألة قوم بعد قوم، حتى سألت خلقاً كثيراً، وعالماً من الناس في الموسم وغير الموسم، من أهل المشرق والمغرب، وكتبت أخبارهم، ورويت أحاديثهم"(اليعقوبي، 1893: ص4).

هذا وقد وفي اليعقوبي بوعده فخرج لنا بكتاب وفقاً لما قاله اذ التزم فيه المؤلف بدقة الخطة التي وضعها في تبويب مادته، غير ان العرض العام يخرج من حد التناسق بعض الشيء فقد اسهب المؤرخ في وصف بغداد وسامراء بحيث اخذ ذلك ربع الكتاب تقريباً(كراتشكوفسكي، 1963: ص159)، بالإضافة الى ذلك نجد في كتاب البلدان وصفاً مفصلاً لكثير من الاماكن التي ذكرت فيه كما يحفل بنسبة كبيرة من الجوانب الطبيعية او ما نسميها بالجغرافية الطبيعية(الجعفري، 1980: ص258)، ومن الناحية السياسية فقد اخذ هذا الجانب حيزاً كبيراً في الكتاب بوصفه للأوضاع السياسية في كل بلد او مدينة وعلى سبيل المثال مدينة بغداد عندما اصبحت عاصمة للعباسيين لم يتجهوا الى دمشق وانما الى بغداد واتخذوها مقراً لهم في عهد المنصور العباسي(136-158هـ) واصبحت عاصمة الدولة الاسلامية(الجعفري، 1980: ص259).

اما من الناحية الادبية ذكرها كراتشكوفسكي ان كتاب البلدان لليعقوبي يمتاز عن كتاب ابن خردذابه المسالك والممالك بصورة قاطعة رغماً انه قصد به نفس الوسط من القراء الذين كتب من اجلهم ابن

خردذابة، وهو قليلاً ما يكثرث للنظرية الجغرافية بل هدفه اعطاء لوحة عامة للبلدان لمن يريدون الالمام السريع بها وقراءتها باستثناء المطلعين والراغبين في المعرفة، إضافة الى ذلك انه اسلوبه علمي ومبسط وسهل المأخذ، ويدرك في الكتاب نزعة المؤلف الى التعليل العقلي ولا عجب فهو يخلو من أي اثر للعجائب التي افنتن بها المؤرخون الآخرون (كراتشكوفسكي، 1963: ص161).

رابعاً: كتاب الاعلاق النفيسة لمؤلفه ابن رسته (ت300هـ/912م)

يعد كتاب الاعلاق النفيسة من الموسوعات الجغرافية الفريدة التي اشاد بها المؤرخون وهو في سبعة اجزاء جميعها مفقودة الا الجزء السابع منها وهو في مخطوطة فريدة تم تحقيقها في مدينة ليدن سنة (1310هـ/1892م) (سركيس، ١٩٢٨: ج1، ص107).

بدأ مستهل هذا الكتاب بالحديث عن الجغرافية الرياضية حيث تحدث عن اختلاف الليل والنهار وانتظام الكواكب ومسيرها وانعكاسها في مغربها، ثم انتقل بالحديث الى جغرافية المدن والممالك الطبيعية وهو يصفها ويجمع اخبارها وهو في ذلك حاله حال غيره من الكتب الجغرافية (ابن رسته، 1894: ص3-13)، وبهذا الصدد يذكر كراتشكوفسكي ان ابن رسته كان حذراً في كتابته كي لا يتهم بحرية الفكر فهو يعتمد على شواهد من القرآن لإثبات التنجيم، وعرضه للجغرافيا الفلكية والرياضية وافٍ جداً ويعتمد في ذلك على مؤرخين سابقين مثل الفرغاني وابي معشر ولكنه لا يخلو من عرض ابن خردذابه (كراتشكوفسكي، 1963: ص164).

اما الجغرافية الطبيعية تبدأ لديه من بوصفه مكة والكعبة مع تحديد الابعاد بدقة متناهية ولكن وصفه يفتقر الى الحيوية ويلي وصف المدينة، قسم منه مكرس لجميع صنوف العجائب في العالمين النباتي والحيواني، ثم يعقب هذا الوصف البحار والانهار والاقاليم السبعة بما فيها من مدن مشهورة، وفي وصفه للأقطار يفرد اهمية خاصة لإيران ولكنه لا يهمل الكلام عن بلاد العرب الجنوبية ومدينة صنعاء في اليمن ومدينة بغداد ومدن مصر (كراتشكوفسكي، 1963: ص164).

وفيما يتعلق بالقسطنطينية يحدثنا عن موكب الامبراطور المهيّب، ثم يصف الكنيسة نفسها (أيا صوفيا) ويتحدث عن الساعة الموجودة بها، كذلك وصفه عن الهند الشرقية والصقالبة والشعوب الاورالية (كراتشكوفسكي، 1963: ص164).

ومقدمة الكتاب تعطي فكرة جلية عن وجهة نظر المؤلف والغاية التي استهدفها والخطة التي سار عليها، وفي هذه المقدمة ينظر مرة اخرى كيف استحثت المطالب الدنيوية على تأليف الاوصاف الجغرافية التي انضمت الى الجغرافيا الفلكية لتقدم لنا عرضاً عاماً شاملاً مترابط الحلقات ابتداءً من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (كراتشكوفسكي، 1963: ص164).

خامساً: كتاب الرسالة الاولى لمؤلفه ابو دلف (ت بعد القرن الرابع الهجري)

يعد كتاب الرسالة الاولى من الكتب المهمة التي تناولت العديد من بلدان المشرق الاسلامي حيث وصف فيها بلاد التركستان الشرقية وبلاد التبت وبلاد الصين وبلاد الهند والسند ومدينة الملّات الهندية (الندوي، 2008: ص51)، وصنف هذا الكتاب ككتاب الرحلات السفارية والرحلات المهمة التي زودت العرب بمعلومات وفيرة عن بلدان المشرق الاسلامي ومنها بلاد الهند والصين (الفيل، 1979: ص12)، يرى مينورسكي ان كتاب الرسالة الاولى لأبو دلف هي سلسلة من الوقائع لا يربط بينها شيء، وبعضها حقيقي وبعضها من نسج الخيال، واما وصف طريق الرحلة يرى فيه خلطاً وتعقيداً شديدين ويعتبره خالي من اي قيمة علمية فيجب ان يؤخذ هذا الاثر بوصفه خلاصة للتطورات الجغرافية التي كانت سائدة في شرقي العالم الاسلامي آنذاك واسيا الوسطى والهند ويعرضها ابو دلف عرضاً يفقر الى الدقة والمهارة إضافة الى ذلك ان نسبتها اليه تعتمد على مجرد افتراض (مينورسكي، 1985: ص34)، اما كراتشكوفسكي يرى ان معلومات هذا الكتاب لا اساس للقول بانه من نسج الخيال، اذ ثبت مثلاً صحة المعلومات التي اوردها ابو دلف عن والي سجستان في ذلك العهد، كذلك بعض التفاصيل المتعلقة بزيارته الى الصين ووجد

تأكيداً عند المؤرخين كما اعترفوا بعض المؤرخين المتأخرين بدقة ملاحظة ابو دلف في محيط الظواهر الطبيعية والتاريخية(كراتشكوفسكي، 1963: ص190).

ويمكن القول وبصفة قاطعة انه قد ثبت ان روايته لا تمثل يوميات او وصفاً للطريق بل تم تدوينها من الذاكرة، والخلاصة انه لا توجد ادلة قاطعة تثبت ان الوصف لم يعتمد على رحلة واقعية او انه لم يكن سوى مجموعة من القصص المنسوبة الى ابو دلف(كراتشكوفسكي، 1963: ص190).

سادساً: كتاب رسالة ابن فضلان لمؤلفه احمد بن فضلان (ت309هـ/921م)

يحتل كتاب رحلة ابن فضلان المكانة الاولى بين الجغرافيين العرب والمسلمين، فهو يقدم لنا صورة حية للظروف السياسية في العالم الاسلامي والعلاقات بين بلاد الاسلام والبلاد المتاخمة لها في اسيا الوسطى او الاصقاع النائية التي كانت تمثل اطراف العالم المتمدن آنذاك مثل حوض الفولجا(كراتشكوفسكي، 1963: ص190)، وتحديداً وصف لنا الكتاب ارض روسيا وبلاد الخزر وشعوبها ورسوم الملوك وبعض الجوانب الاجتماعية مثلاً تحدث عن معاملة الروس للمرض فقال "وإذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء، ولا يقرّبونه ولا يكلمونه بل لا يتعاهدونه في كل أيام مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً، فإن برئ وقام رجع إليهم وإن مات أحرقوه، فإن كان مملوكاً تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير"(ابن فضلان، دبت: ص103)، كذلك دون ابن فضلان في كتابه بعض العجائب التي لفتت نظره في ديار الصقالبة فمن ذلك وصفه لليل والنهار(زياده، 1987: ص198) حيث قال "ورأيت النهار عندهم طويلاً جداً، وإذا أنه يطول عندهم مدة من السنة ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار، فلما كانت الليلة الثانية جلست خارج القبة، وراقبت السماء، فلم أر من الكواكب إلا عدداً يسيراً ظننت أنه نحو الخمسة عشر كوكباً متفرقة"(ابن فضلان، دبت: ص125-127).

ايضاً ترك لنا ابن فضلان في كتابه رحلة ابن فضلان صورة واضحة للبلغار وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومشهد ما كتبه بهذا الصدد بأنهم كانوا لا يزالون دون ما وصل اليه المسلمون في مدينتهم وان بدت بعض عاداتهم طريفة، كان يأكل كل واحد مائدته ولا يشاركه فيها احد ولا يتناول من مائدته غيره، ولباسهم القلانس يرفعونها عن الرأس ويجعلونها تحت الابطل للتحية واطهار الاحترام(ابن فضلان، دبت: ص140)، وكتاب رحلة ابن فضلان نقل عنه العديد من الجغرافيين العرب والمسلمين منهم الاصطخري والمسعودي وياقوت الحموي، وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة على يد المستشرق فرهن سنة(1823م) ومعه مقتطفات اخرى مما كتبه المسلمون عن بلاد الروس(حسن، 2012: ص24)، ويحفل الكتاب بمادة اثنوغرافية قيمة جداً ومتنوعة بصورة فريدة وهي تتحدث عن عدداً من القبائل التركية البدوية القاطنة في اسيا كالبغار والروس والخزر، كما لا يمكن انكار قيمة الكتاب الادبية واسلوبه القصصي السلس ولغته الحية المصورة التي لا يخلو بين اونه واخرى من بعض الدعابة التي ربما لم تكن مقصودة(كراتشكوفسكي، 1963: ص186).

سابعاً: كتاب المسالك والممالك لمؤلفه الاصطخري (ت346هـ/957م):

يشير كراتشكوفسكي الى كتاب المسالك والممالك على انه احد الكتب الجغرافية الذي يقتصر على وصف العالم الاسلامي بصفة خاصة مقسماً الى عشرين اقليماً، لا بالمعنى المعروف لنا عن الاقاليم كأحزمة عريضة تضم عدداً من درجات العرض بل كمناطق جغرافية واسعة او ولايات(كراتشكوفسكي، 1963: ص199)، ويلي الكلام عن الاقليم الرابع المعمور وابعاده عن المعمور وعن البحار ووصف جزيرة العرب وبحر فارس مع المحيط الهندي والمغرب مع الاندلس وصقلية ومصر والشام وبحر الروم والجزيرة والعراق وايران الجنوبية والهند وايران الوسطى والشمالية مع ارمينيا وأذربيجان وبحر الخزر(كراتشكوفسكي، 1963: ص199-200)، وقد قسم الاصطخري كتابه المسالك والممالك الى قسمين رئيسيين هما اقليم المشرق واطليم المغرب، والذي بدء به بإقليم المشرق وتحديدأ بديار العرب وهي شبه الجزيرة العربية فيقول "يحيط بها بحر فارس من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر فيمتد على

البحرين حتى ينتهي الى عمان، ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن" (الاصطخري، 2000: ص38)، كذلك تناول كتاب الاصطخري دراسة جباة الخراج في العصر العباسي وتقسيم الاراضي تبعاً لطرق الجباية منها المقاسة والمساحة والقوانين (الموردي، 1989: ص187)، ايضاً انفرد الاصطخري في مؤلفه بوصفه للمعادن التي كانت متوفرة في البلاد الاسلامية مثل الحديد والكبريت والنفط والزئبق بالإضافة الى ذلك وصفه عن اهل البلاد، فقد اعطى فكرة واضحة عن ثراء بعض العائلات وكبار رجال الدولة العباسية (رمضان، دت: ص82)، ويورد عن كل بلاد معلومات عن الحدود والمدن والمسافات وطرق المواصلات ويروي تفاصيل متفرقة عن المحاصيل والتجارة والصناعة وعن الاجناس ومعظم التفاصيل تتعلق بالبلاد التي زارها ولكن قد يحدث احياناً ان يكون للأوصاف الموجزة اهمية خاصة (كراتشكوفسكي، 1963: ص200)، وكان لكتاب الاصطخري تأثيراً كبير لم يقف عند حد الادب الجغرافي العربي وحده، فللكتاب عدد من الترجمات الفارسية ترتفع في العادة الى المسودة الاولى للكتاب مما دعي الى ظهور الرأي القائل بان الاصطخري قد كتب في الاصل باللغة الفارسية، ويمتد هذا التأثير من الناحية الزمنية الى وقت طويل، فعندما حصلت احدى القبائل الفارسية في القرن الخامس عشر الميلادي على الاصل العربي للاصطخري حافظ ذلك على وضع مصنفه الجغرافي، اما الترجمة التركية لكتاب الاصطخري (المسالك والممالك) فترجع الى عهد السلطان العثماني محمد الثالث في حوالي 1596م (كراتشكوفسكي، 1963: ص200).

ثامناً: كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لمؤلفه المسعودي (ت346هـ/957م)

كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر مصنف تاريخي وجغرافي عظيم القيمة لم يكتب المسعودي فيه ببحث الموضوعات التي اعتادها المؤرخون المسلمون بل تطرق الى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود ويقع الكتاب في قسمين تناول القسم الاول وصف الخليقة وروايات قصص الانبياء في ايجاز، ثم انتقل الى القسم الثاني في وصف الارض والبحار والعجائب والغرائب وتاريخ الامم القديمة وما كانت تعتنقه من الاديان وما تعتقد فيه من المذاهب وما تتبعه من عادات وتقاليد، ثم عرض للأيام والشهور والتقاويم وكل ما يتعلق بذلك (رمضان، دت: ص104)، وقد اشار المسعودي في مقدمة كتابه مروج الذهب قائلاً: "على أنا نعتز من تقصير إن كان، وننتصل من إغفال إن عرض لم! قد شاب خواطرننا، وغمر قلوبنا، من تقاذف الأسفار، وقطع الفقار، تارة على متن البحر، وتارة على ظهر البر، مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة... الخ" (المسعودي، 1989: ج1، ص13)، والمشاهدات والتجارب التي حصل عليها المسعودي خلال رحلاته مؤلفات ضخمة، ضاع قسم كبير منها ووصل الينا جزء منها ومنها كتاب مروج الذهب الذي يجمع ما بين التاريخ والجغرافيا السياسية والعمرانية بل يتضمن معظم ضروب العلم في عصره ويمتاز عن غيره من الكتب العربية بكثرة ما فيه من اخبار الامم التي كانت تحيط بالعالم الاسلامي في العصور الوسطى (حسن، 2012: ص30)، اما كراتشكوفسكي فقد وصف الكتاب بأنه افضل تصوير للحياة الاجتماعية والثقافية، وفي هذا الكتاب فصول يغلب عليها الطابع الجغرافي وقد تتحول احياناً الى استطرادات مطولة ومثال على ذلك ما كتبه المسعودي في مؤلفه مروج الذهب عن البحار والانهار وقبائل العرب والكرد والترك والبلغار وعن دور العبادة عند جميع الشعوب وخاصة عند القوقاز، كذلك طريقة ملاحظاته المطولة ومثال على ذلك هجرات القبائل وعن الهند والزنج، والفصل الذي افردته عن الصقالبة اضحى اكثر عن مائة عام موضوعاً لبحث مستقل (كراتشكوفسكي، 1963: ص181)، بالإضافة الى ذلك زخر هذا الكتاب بالمعلومات ذات الاهمية الكبيرة والممتعة واتي جميعها المسعودي من خلال اسفاره، ولا يأخذ المسعودي في كتابه للتصدي للجغرافيين ومنافستهم، اي أولئك الذين يصفون كل مدينة ويحسبون بالتقدير كل مسافة يقطعونها فهو يكتب حسب اسلوب مراسل صحيفة كبرى في يومنا هذا والذي يتفحص ما يقع تحت بصره، ولا تفوته فرصة الاستفسار من الشخصيات البارزة او زيارة الذين يرددون الاقاويل والانتقادات عن مدينة ما (مينورسكي، 1985: ص13).

تاسعاً: كتاب احسن التقاسيم لمؤلفه المقدسي (ت380هـ/990م)

اغنى المقدسي كتابه احسن التقاسيم بالإضافة عن كتب السابقين بعد الدراسة الميدانية استناداً الى مخطط مسبق ويشرح في مقدمة رائعة البرنامج المعقد خلال تحقيقاته وتحريراته وقد الزم نفسه بدراسة اللغات

والمعتقدات -الدينية في مختلف الاقطار والصلع والصادرة والواردة والملاحم الطبيعية المتميزة كالأراضي المائلة للبياض والأراضي السمراء والرملية والتربة الخصبة أو الحدياء والأصقاع الفقيرة والغنية(مينورسكي، 1985: ص14).

بينما يرى كراتشكوفسكي بان الفصول الاولى من الكتاب التي بمثابة مدخل اليه طويلة بعض الشيء ولا تخلو من الاصاله عند المقارنة بكتب السابقين له اذ تنعكس فيه شخصيته واضحة للعيان ومنها يستدل على انه قد اعد النظر في المسودة الاولى للكتاب بحيث يصبح من العسير تتبع الخطة في كتابه(كراتشكوفسكي، 1963: ص211)، اما الفصل الذي يعقده للكلام عن اسماء الاماكن فيتناول فيه الحديث على المواضع المختلفة التي يجمع بينها اسم واحد والموضع الواحد الذي يحمل اسماء عدة، ثم يأتي بفصلان يحويان وصفاً موجزاً لخصائص الاقاليم المختلفة والمذاهب الاسلامية، ويعترض السرد العام حكايته المشهورة للمغامرات التي مرت عليه خلال اسفاره وتجوله والتي يعرض لنا فيها لوحة من امتع اللوحات التي تصور حياة المسلمين في ذلك العهد رغماً من انه عرضه لا يخلو من الزهو والفخر بالنفس(كراتشكوفسكي، 1963: ص211)، ولا تقف فصول الكتاب الى هذا الحد فقد رجع المؤلف الى الكلام عن الاماكن المجهولة الموقع وتعداد المدن والضواحي والنقاط المأهولة بها، وبلي هذا الكلام على تقسيمه الارض الى الاقاليم السبعة المعروفة لنا وعلى مواضع القبلة وامتداد دولة الاسلام وجميع هذه الفصول الاولى تمثل ما يقارب سدس الكتاب، فقط عند استيفاء الكلام ينتقل فيها بالقارئ الى وصف البلاد الذي يخضع لتنظيم دقيق على طول صفحات الكتاب وعند وصفه لكل قطر يقسمه عادة الى ثلاثة اقسام غير متساوية الحجم، ففي القسم الاول يرد الكلام على اقسام المنطقة ومدنها والمواضع العامرة منها، اما القسم الثاني فيبحث في المناخ والزرع والطوائف واللغة والتجارة والاوزان والعادات والمياه والمعادن والاماكن المقدسة واخلاق السكان والتبعية السياسية للبلاد، اما القسم الثالث ذكر المسافات وطرق المواصلات ، وليس من العسير ان نلاحظ ان المقدسي اقل من اهتمامه للجغرافيا الطبيعية، وفي المقابل يقدم لنا لأول مرة مجموعة هائلة من المعلومات عن التجارة والمعتقدات والعادات(كراتشكوفسكي، 1963: ص211-212)، وبذلك يعد كتاب المقدسي (احسن التقاسيم) نموذجاً للكتاب العلمي المرتب والمنظم والمقسم فضلاً على انه يحتوي نقداً علمياً صريحاً لشيخه في هذا الموضوع وهو يقدم للوصف الجغرافي الدقيق بذكر ما دفعه الى الاهتمام بهذا الموضوع وهو القواعد التي اسست الكتاب عليها(رمضان، د.ت: ص129).

المبحث الثالث

مؤلفات القرن الخامس والسادس الهجري

اولاً: الاثار الباقية عن القرون الخالية لمؤلفه البيروني(ت440هـ/1048م)

اتجه اهتمام البيروني في ميدان الجغرافيا الى جانب الرياضيات والفلك، ولكن يتضح من كتابيه الاثار الباقية والهند وهما اللذان اقتصر عليهما تداول الدوائر العلمية حتى عهد قريب، وان البيروني لم يقف عند هذين الفرعين بل ضرب في جميع فروع العلوم الاخرى بنصيب (كراتشكوفسكي، 1963: ص248)، واما مصنفاته ومن ضمنهم كتابه الاثار الباقية التي تعرف عليها العلم الحديث منذ عهد ليس بالبعيد فإنها تثبت انه كان ملماً بجميع المادة العلمية المعاصرة له، ويمكن اعطاء فكرة جيدة عن مدى اتساع افق المعلومات الجغرافية في عصره مما دون بصدد توزيع البحار على سطح الارض، وذلك في مصنف لم يقصد به في الواقع علم الفلك انما قصد به التنجيم(كراتشكوفسكي، 1963: ص248)، وعن ذلك قال البيروني "أما البحر الذي في مغرب المعمورة وعلى ساحل طنجة والأندلس فإنه سمي البحر المحيط وسماه اليونانيون أوقيانوس ولا يلجج فيه إنما يسلك بالقرب من ساحله وهو يمتد...إلى قرب أرض بلغار"(البيروني، د.ت: ص121)، وكتاب الاثار الباقية في جوهره خلاصة للتقاويم المختلفة فلكية كانت ام شعبية، وهو يقدم لنا وصفاً كاملاً لجميع التوقيئات والاعياد المعمول بها عند الشعوب والاديان المعروفة له كال يونان والرومان والفرس والخوارزميين والقبط والنصارى واليهود والعرب والمسلمين(كراتشكوفسكي، 1963: ص251)، ومصادر في هذا المجال غاية في التنوع فهو يعتمد من

ناحية على المؤلف خاصة مفقودة بالنسبة لنا، ومن ناحية أخرى على الرواية المتواترة التي تمتاز في بعض الاحوال بقيمة نادرة، ويكفي بهذا الصدد ان نلاحظ انه المسلم الذي قدم لنا اول وصف مفصل لنظام التوقيت عند اليهود (كراتشكوفسكي، 1963: ص251)، وفي مجال الجغرافية الرياضية فلا تفتقر الأهمية على المادة نفسها بل تنتظم ايضاً المنهج الاصيل الذي اتبعه البيروني في مؤلفه كتحليل مفصل في فكرته عن مساقط الخارطات الذي دفع احد الاخصائيين المعاصرين الى الاعتراف بانه قد جمع الى سعة العلم خيالاً خصباً (كراتشكوفسكي، 1963: ص251)، بالإضافة الى ذلك اصلح البيروني بعض البيانات الجغرافية الخاطئة التي كانت مدونة في كتابه، ولا سيما كان البيروني يقبل على البحث والتنقيب وكان اسلامه لا يمنعه من الاخلاص في الحكم على المسلمين، والحق ان كل ما كتبه في مؤلفه يشهد بسعة اطلاعه ودقة ملاحظاته وبانه جال طويلاً في الكثير من البلدان فعرف افاقها وخبر اهلها ودرس عاداتهم ومظاهر حضارتهم (حسن، 2012: ص45).

ثانياً: طبائع الحيوان لمؤلفه شرف الزمان طاهر المروزي (ت بعد 541هـ/1049م)

قسم المروزي كتابه (طبائع الحيوان) الى اثنين وعشرين باباً شملت العديد من البلدان منها بلاد الهند والصين والشرق الاسلامي، وتعد هذه الابواب من اهم ابواب الكتاب التي تحدث فيها المؤلف في كتابه عن حركة القبائل في الشرق الاقصى وقبائل واسط اسيا (الحضاوي، 2016: ج3، ص263)، والقسم الاول من الكتاب يعالج الكلام على الأجناس البشرية والجغرافية (كراتشكوفسكي، 1963: ص263)، وتوجد في الكتاب اخبار حوادث شهدها المؤلف بنفسه في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري واكثر رواياته قيمة هي تلك التي يرد فيها الحديث عن الشرق الاقصى (الهند والتبت والصين)، هذا وقد تم الكشف من قبل شذرات منه لدى بعض المؤلفين في بداية القرن الثالث عشر الميلادي، وبذلك نرى اهمية الروايات التي تحدث عنها المروزي في كتابه طبائع الحيوان (كراتشكوفسكي، 1963: ص263)، كما وصف البلاد وصفاً مبدعاً وخاصة البلدان الاسيوية فقد اخترق الحواجز بالوصول الى معلومات في غاية الاهمية فعدت رواياته الاكثر قيمة وهي تلك التي يتحدث فيها عن الشرق الاقصى ولكن ترتقي معلوماته في الجنوب والغرب مثلما ارتقت في الشرق فالمؤلف وكتابه جغرافي اسوي بامتياز (الحضاوي، 2016: ج3، ص40-41)، وامتازت رواياته بدقة عالية في نقل الخبر فقد اطلع على اخبار البلاد وسأل عن احوالها فيقول: "فقد رأيت رجلاً ذا حبكة قد دخل الصين وعامل اهلها في المناجر" (المروزي، 2002: ص3).

ثالثاً: سفر نامه لمؤلفه ناصر خسرو (ت 481هـ/1056م)

دون ناصر خسرو كتابه سفر نامه بعد ثلاث رحلات الاولى كانت لغرض الحج والثانية كانت الى بلاد مصر والثالثة بعد مغادرته مصر باتجاه الحجاز لأداء فريضة الحج مرة أخرى ومن خلال ذلك جمع مادته العلمية في مجموعة من الكتب اهمها مؤلفه سفر نامه (رمضان، دت: ص241-242)، والقسم الاساسي من الكتاب فقد كرسه لمصر وتم الاعتراف به منذ زمن بعيد كمصدر من اهم مصادر التاريخ وخطط مدينة القاهرة في العصر الفاطمي، وهو يصف الكثير من تفاصيل التجارة وحياة المدينة ورسوم البلاط الفاطمي ونظام الادارة في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر، وبعد كل ما رآه في المشرق فقد اثار دهشته ما كانت تتمتع به مصر من رخاء وأمن (كراتشكوفسكي، 1963: ص259)، بالإضافة الى ذلك فقد تحدث عن نظام القضاء في بلاد مصر فيقول بذلك "ويتقاضى قاضي القضاة ألفي دينار مغربي في الشهر ومرتب كل قاض على قدر مرتبته ذلك حتى لا يطمع القضاء في أموال الناس أو يظلمونهم" (ناصر خسرو 1993: ص125).

اما ما يحتويه الكتاب عن بلاد الحجاز فهو مفصل بصورة دقيقة لجميع الابنية والمواضع وخاصة مكة وما يتعلق بها، اما قصة اجتيازه لجزيرة العرب فتمتاز بالكثير من الحيوية والمتعة فقد تحدث عن الطائف وسمع في نواحيها قصة ليلي والمجنون، ثم قدم لنا وصفاً مفصلاً وهاماً للأحياء التي كانت تحت حكم القرامطة (كراتشكوفسكي، 1963: ص260)، وكتاب سفر نامه يرتبط ارتباطاً ضئيلاً بالرواية الجغرافية المدونة وقليل ما يتحدث المؤلف عن التقائه بالعلماء في المدن المختلفة التي زارها ولا ريب انه كان ملماً

بالأدب الجغرافي لعصره، وكان هدفه ان يقدم وصفاً لما رآه وسمعه بنفسه وسرد اسلوبه بسيط ويخلو من اثر الصنعة ولكنه يتميز بالحيوية احياناً كما لا يخلو من العنصر الدرامي، وفي مواضع من وصفه يفصل الكلام بصورة مرهفة عن الابنية والاثار (كراتشكوفسكي، 1963: ص260)، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية واصبح مصدراً اعتبر من اكثر المصادر الموثوقة في تاريخ مصر الذي اقام بها مدة اربع سنوات حيث دون مشاهداته بدقة واسهاب فوصف الحياة العقلية وتحدث عن الازهر ودار الحكمة وجامع عمرو وعن العلماء والفقهاء ودعاة الفاطميين (حسن، 2012: ص46)، وامتاز الكتاب ايضاً بالذوق الفني الجميل حتى اصبحت فيه الملاحظات عن الاثار والفنون مرجعاً اساسياً للمشتغلين بالفنون الاسلامية، فنراه يتحدث عن مراكز الصناعات والفنون المختلفة ويصف المساجد والقصور والخانات وغير ذلك من مفاخر العمارة الاسلامية (حسن، 2012: ص46).

كذلك تحدث عن صناعة الخزف في العصر الفاطمي فقال: "ان الفاطميين كانوا يصنعون انواع الخزف المختلفة وان الخزف هذا كان رقيقاً شفافاً... وكانت تصنع مصر الفناجين والقصور والصحون والاولاني الاخرى وتزين بالوان... تختلف باختلاف اوضاع الانية" (ناصر خسرو 1993: ص119)، كذلك امتاز الكتاب بدقة الوصف في العديد من الروايات منها وصف مائدة الخليفة فيقول خسرو: "يقيم السلطان مأدبة في كل من العيدين ويأذن بالاستقبال في قصره للخواص والعوام وتتصب مائدة الخواص في حضرته ومائدة العوام في سرايات أخرى وقد سمعت كثيراً عن هذه المآدب فرغبت في رؤيتها رأي العين" (ناصر خسرو 1993: ص122).

رابعاً: كتاب المسالك والممالك لمؤلفه ابو عبيد البكري (ت487هـ/1094م)

استخدم البكري في كتابه المسالك والممالك المنحنى القديم في وصف الطرق والمراحل وبين فيه بلدان العالم الاسلامي المختلفة، ووفقاً لتركيبة فهو كتاب جامع ولكن اسلوبه جاف، ولا يخلو الكتاب من استطرادات ممتعة ويتضمن احياناً وثائق هامة (كراتشكوفسكي، 1963: ص275)، واشتمل الكتاب وصف افريقيا الشمالية ومصر والعراق وسكان نواحي بحر قزوين وبعض اجزاء اسبانيا، ومن اكثر اوصاف تفصيلاً وصفه لأفريقيا الشمالية (كراتشكوفسكي، 1963: ص275)، وقد اعتمد البكري في وصفه لتلك البلدان على عدد من المصادر منها كتاب (المسالك والممالك) لابن الوراق الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ومذكرات (وصف اراضي الصقالبة) للمؤرخ ابراهيم بن يعقوب كذلك اخذ من الجيهاني والمسعودي وابن رسته (كراتشكوفسكي، 1963: ص275).

ويرجح كراتشكوفسكي انه من الجائز قد اطلع على وثائق مهمة نخس قرطبة واستخرج منها المادة اللازمة لوصف بعض الطرق (كراتشكوفسكي، 1963: ص275)، اما الادب الجغرافي المعروف في الكتاب فانه كان بلا شك معروفاً له معرفة جيدة، ففي القسم الخاص بالصقالبة نلتبس تأثير الجيهاني والمسعودي وابن رسته، كما ان اصوله من المغرب ساعدته في الحصول على مصادر كانت غير معروفة في المشرق، وقد اثبت احد المستشرقين الاسبان وهو سيمونة ان وصف البكري لجزر الكناري مأخوذ من كتاب (اصول الكلمات) للأشبيلي وهو احد مشاهير اصحاب الموسوعات في القرن السابع الميلادي/ الثاني الهجري (كراتشكوفسكي، 1963: ص276)، وبالرغم من ذلك فان اغلب صفحات الكتاب هو جهد المؤلف الشخصي وانه يقدم الى جانب المادة المدونة معلومات عديدة معاصرة له، وقد كان الكتاب واسع الانتشار افادة منه الكثير من الجغرافيين منهم ياقوت الحموي والدمشقي في القرن السابع والثامن الهجري (كراتشكوفسكي، 1963: ص276)، بالإضافة الى ذلك عني البكري بكتابه المسالك الممالك عناية خاصة بتتبع خطوات الفتح الاسلامي في شمال افريقيا فأعطانا صورة واضحة ومفصلة الى حد كبير (رمضان، د.ت: ص151-152).

خامساً: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق لمؤلفه الادريسي (ت560هـ/1164م)

تم هذا الكتاب بتكليف من قبل الملك روجر الثاني ملك صقلية الى الادريسي، وذلك لرغبة روجر الثاني في الحصول على مصور للعالم ومعرفة مواقع الدول وخاصة دول الشرق (كراتشكوفسكي، 1963:

ص283)، وبذلك استغل الإدريسي هذه المهمة وقام بجمع خرائط العالم الإسلامي السابقة ليكون فيها خارطة شاملة، وقد استطاع بفضل بحاره وعملاء متخصصين من استكشاف العالم وخرائطه، فضلاً عن ذلك انه جمع معطيات طريفة عن انكلترا وفرنسا والاقطار البلطية وقد تمكن من نشر الفصول المتعلقة بالبحر المتوسط بصورة غاية في الاتقان بجهود بعض الفرنسيين والايطاليين(مينورسكي، 1985: ص20)، وطريقة ترتيب كتاب الإدريسي (نزهة المشتاق) بسيطة بالرغم من انها لا تخلو من اثار الصنعة، فهو يقدم لنا في اول الامر وصفاً موجزاً للأرض التي يتصورها على شكل كرة طول محيطها اثنان وعشرون الف وتسعمائة ميل معلقة في الفضاء كالمح في البيضة، وبعد وصف قصير للأقاليم والبحار والخلجان ينتقل الى سطح الارض بالتفصيل، وهو يتبع في هذا طريقة بطليموس المعروف لنا بتقسيمه الارض الى سبعة اقاليم، اي حزمة عرضية فوق خط الاستواء(كراتشكوفسكي، 1963: ص285).

غير ان الإدريسي ادخل على ذلك تجديداً بتقسيمه لكل اقليم من الاقاليم السبعة الى عشرة اقسام رأسية التي يتفرع لوصفها في كتابه الواحد تلو الآخر مبتدئاً من الغرب ومتجهاً نحو الشرق، وكل وصف لقسم من هذه الاقسام يرتبط بخارطة بحيث إذ ضمت هذه الخارطات السبعون الصغيرة الى بعضها البعض لتكون في خارطة عامة لكل العالم على شكل مستطيل الامر الذي يستحيل فعله مع كتاب (اطلس الاسلام) ويبدو جلياً ان العيب الاساسي لمثل هذا المنهج هو ان وصف قطر ما يأتي موزعاً بين عدد من القطع الصغيرة المبعثرة هنا وهناك بحيث يتطلب جمعها مجهوداً ملحوظاً(كراتشكوفسكي، 1963: ص285)، واهم الاقسام في الكتاب هي التي افردها الإدريسي لأفريقيا الشمالية واسبانيا وصقلية ونواحي ايطاليا الاخرى، اما المانيا وبولندا وروسيا فان وصفها يرد في دقة اقل بكثير من سابقاتها(كراتشكوفسكي، 1963: ص285-286)، وبهذه البيانات والمرتسمات استطاع الإدريسي بمؤلفه (نزهة المشتاق) ان يمتاز على سائر الجغرافيين المسلمين فان من سبقه منهم لم يستطع الكتابة عن أوروبا الشمالية في شيء من الدقة ولم يظهر بمشاهداته اولئك الرواد الذين اوفدوا الى أوروبا ومن الطبيعي ان يمتاز كتاب الإدريسي بغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية(حسن، 2012: ص52).

اما مصادر الإدريسي عن البقاع الواقعة في الشرق فقد كانت قاصرة ولا تزال الخرائط المتعلقة بهذا الجزء من العالم تحمل اثار الجغرافي اليوناني بطليموس بكل صراحة، بالإضافة الى معطيات بعض قدامى الجغرافيين العرب فضلاً عن المعلومات التي حصل عليها الإدريسي ذاته، وتفتقر المعلومات المتعلقة بالاقطار الاسلامية الشرقية للأصالة كما تترخر الفصول المتعلقة بأسيا الوسطى والهند بأشكال الغموض(مينورسكي، 1985: ص20)، وبذلك زود الإدريسي كتابه نزهة المشتاق بإحدى وسبعين مصوراً لذلك اعتبره البعض احد اعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافية وهو يتبع الطريقة العربية طريقة العرض الجغرافي القائم على التوثيق الاصيل سواء بالمشاهدة او عن طريق الثقة، وتفصيل احوال الامم والسكان وبيانات ما بكل بلد من عجائب البنيان والاثار(ضيف، 1987: ص46).

سادساً: كتاب تحفة الالباب ونخبة الاعجاب لمؤلفه ابو حامد الغرناطي(ت565هـ/ 1170م)
قام ابو حامد بأولى رحلاته سنة(508هـ/ 1114م) الى بلاد مصر حين التقى بعدد من علماء والقاهرة والاسكندرية، ثم رجع الى وطنه الاندلس لكنه لم يمكث طويلاً فغادر مرة اخرى سنة(511هـ/ 1117م) وفي هذه الرحلة زار فيها بلدان واماكن عديدة منها جزيرة سردينيا وصقلية والاسكندرية والقاهرة ايضاً ومكث فيها وفي سنة(516هـ/ 112م) زار بغداد وامضى فيها اربعة اعوام ثم زار ايران والفرغانة وخوارزم وبعدها رجع الى بغداد وبقي متنقلاً ما بين بغداد والموصل ودمشق حتى توفي في دمشق سنة(565هـ/ 1170م)(كراتشكوفسكي، 1963: ص295).

ومن خلال هذه الرحلة تمكن ابو حامد الغرناطي ان ينجز مؤلفه (التحفة الالباب ونخبة الاعجاب) الذي وصف فيه اخبار الاقاليم الممتدة شمال البلغار الى المحيط المتجمد الشمالي، ووصفه الدقيق لاماكن تلك الاقاليم واختلاف ساعات الليل والنهار وذكره لبعض العجائب والغرائب(ضيف، 1987: ص52-53).

والكتاب ذات طابع جغرافي وتحفل مقدمته بالتعبيرات العادية ذات الطابع الديني ولكن يستنتج من ثناياها ان الكتاب قد تم تصنيفه في سنة (557هـ/1162م) بالموصل بتوصية من عالم متصوف وهو الاربلي وهو عالم معروف في الادب العربي (كراتشكوفسكي، 1963: ص295)، وينقسم الكتاب الى اربعة ابواب الاول منها بعطي صفة الدنيا وسكانها من انسها وجانها والثاني صفة عجائب البلدان وغرائب البنين والثالث يتناول صفة البحار وعجائب حيواناتها وما يخرج منها من العنبر والنفط والرابع يتناول صفات الحفائر والقبور وما تضمنت من عظام الى يوم النشور (كراتشكوفسكي، 1963: ص295).

ويرى كراتشكوفسكي ان الكتاب يشوبه الكثير من التحفظ فالمؤلف كان بوسعه تقديم خدمات كبرى في محيط الجغرافيا والتاريخ الطبيعي لو انه جمع الى طبيعته المتشوقة الى معرفة نصيباً اوفر من الاطلاع وروح النقد وذلك ان محيط الاطلاع للمؤلف لم يكن واسعاً فهو لا يبرز من مصادره الى جانب القرآن الا عدداً ضئيلاً جداً من المؤلفات (كراتشكوفسكي، 1963: ص295).

اما مادته الجغرافية ففقيرة للغاية ومضطربة، كما ان ميله للغرائب واضح ملموس بحيث لا يمكن انماره، ولكن عرضه يتميز بالحبيوية والتفنن ويمكن بعد تمحيصه تمحيصاً دقيقاً استخراج نتائج طيبة في مختلف النواحي (كراتشكوفسكي، 1963: ص295-296).

واما بالنسبة الى ذكره للغرائب وبعد التحليل الدقيق لرواياته فيها فقد كانت تنتمي قبلاً الى محيط الاساطير وقد يكشف في كثير منها عن اسس واقعية وعن دقة كبيرة في الملاحظة، ويورد ابو حامد في كتابه (تحفة الالباب) رواته بثقة ويتحدث عن نفسه بضمير المتكلم ولهذا يمكن التفريق بسهولة بين مصادر مادته، وكثيراً ما يورد على لسان الغير لا يمثل في الواقع اهمية ما وذلك لسهولة تصديقه العجائب (كراتشكوفسكي، 1963: ص296).

سابعاً: كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات لمؤلفه الهروي (ت611هـ/1214م)

اقتصر كتاب الهروي (الاشارات) على عدد من الزيارات لأضرحة الاولياء والمقامات الكثيرة التي سمع بها في الاماكن المختلفة، ومن خلال ذلك تمكن من وصف العديد من المدن والبلدان التي زارها، ومن خلال اهتمامه بذلك يقوم بنقش اسمه على جدار اي مدينة زارها، وأولى رحلاته كانت من مكان اقامته او سكنه مدينة حلب الى مدينة الشام التي قام بوصفها (كراتشكوفسكي، 1963: ص321)، وقد ظهر لنا جدوى -اهتمامه بالنقوش فقد دون نقوشاً ذات قيمة في احد المساجد، وزار على مر الزمان اضرحة الاولياء واماكن العبادة المعروفة في مصر وبلاد العرب والعراق وايران والهند، كما زار ايضاً اراضي الدولة البيزنطية والقسطنطينية في عهد الامبراطور مانويل الاول (1143-1180م) (كراتشكوفسكي، 1963: ص321)، وبذلك اخرج لنا الهروي كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات، والكتاب جغرافي واسع الاطلاع لا يخلو من الحذر في تدوينه وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين الجغرافيين سواء مستشرقين او عرب ومن ضمنهم ياقوت الحموي (كراتشكوفسكي، 1963: ص321-322).

ثامناً: كتاب رحلة ابن جبير لمؤلفه ابن جبير (ت614هـ/1217م)

في سن مبكر تمكن ابن جبير من ثلاث رحلات متتالية الرحلة الاولى عندما غادر غرناطة وهي مسقط رأسه سنة (578هـ/1183م) باتجاه مصر ومن خلالها زار الاسكندرية والقاهرة وصعيد مصر ومنها الى ميناء عيذاب ثم نزل بجدة واخذ قافلة الى مكة حيث اقام هناك حوالي نصف عام، ثم مر بالمدينة ومنها الى الكوفة وبغداد وسامراء والموصل وحلب ودمشق التي امضى بها شهر قبل ان يغادر الاراضي الاسلامية فقد عانته سواحل الشام آنذاك في قبضة الصليبيين، ومن ميناء عكة ركب سفينة مسيحية متجه نحو صقلية وغرناطة حتى وصلها سنة (581هـ/1185م) (كراتشكوفسكي، 1963: ص229).

والرحلة الثانية كانت سنة (585هـ/1189م) بعد سماعه باستيلاء صلاح الدين الايوبي على بيت المقدس، واما الرحلة الثالثة كانت سنة (601هـ/1204م) ولم يرجع الى الاندلس مرة اخرى بل امضى اكثر من

عشرة اعوام متنقلاً بين مكة وبيت المقدس والقاهرة مشغلاً بالتدريس والادب الى ان توفي بالإسكندرية سنة(614هـ/1217م)(كراتشكوفسكي، 1963: ص229).

ومن خلال هذه الرحلات استطاع ابن جبير ان يؤلف كتابه رحلة ابن جبير، وتعتبر رحلة من الناحية الفنية ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الادب العربي واذا كان وصفه المفصل للأبنية مملاً للقارئ العادي فإن أسلوبه يمتاز بالكثير من الحيوية وسهولة التعبير، ومثال على ذلك وصفه لحمارك الاسكندرية او لكارثة السفينة على سواحل صقلية(كراتشكوفسكي، 1963: ص301)، اما عرضه العام فيستهدف الصنعة والاناقة وهو كثيراً ما يلجأ الى السجع الذي يعالجه بالكثير من المهارة دون ان يبالغ فيه او يضطر القارئ الى تكلف الجهد في تفهمه، كما يشحن كتاباته بالاقتباسات الادبية والاشارات اللطيفة مما يتطلب درجة معينة من المعرفة والاطلاع حتى يضحى للقارئ فهماً جيداً، وبعد فان كتاب رحلة ابن جبير رفيع الاسلوب يختم بجداره حلقة الجغرافيين الاندلسيين في هذا العصر(كراتشكوفسكي، 1963: ص301).

المصادر والمراجع باللغة العربية

- 1- احمد، نفيس، (2021)، جهود المسلمين في الجغرافيا، تر: فتحي عثمان، ط1، وكالة الصحافة العربية، القاهرة.
- 2- الاصطخري، ابو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي(ت ٣٤٦هـ/957م)، (2000)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت.
- 3- بدوي، عبد الرحمن، (1993)، موسوعة المستشرقين، ط15، دار العلم للملايين، بيروت.
- 4- البيروني، ابو الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ/1048م)، (د.ت)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 5- التاجر، سليمان(ت237هـ/851م)، (2005)، عجائب الدنيا وقياس البلدان، تح: سيف شاهين المريخي، مركز زايد للتراث والتاريخ، ابو ظبي.
- 6- الجعفري، ياسين ابراهيم علي، (1980)، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، ط1، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- 7- حسن، زكي محمد، (2012)، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة، 1433هـ/2012م).
- 8- الحضاوي، احمد، (2016)، كتاب طبائع الحيوان، المجمع العلمي، بغداد.
- 9- ابن خرداذبه، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت نحو 280هـ/893م)، (1889)، المسالك والممالك، ط1، مطبعة بريل، ليدن.
- 10- ابن رسته، ابي علي احمد بن عمر(ت300هـ/912م)، (1894)، الاعلاق النفيسة، ط1، مطبعة برياء، ليدن.
- 11- رمضان، احمد، (د.ت)، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة.
- 12- الزركلي، خير الدين، الاعلام، (2002)، ط15، دار العلم للملايين، بيروت.
- 13- زياده، نيقولا، (1987)، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 14- سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، (1928)، معجم المطبوعات العربية والمعرية، مطبعة سركيس، القاهرة.
- 15- ضيف، شوقي، (1987)، الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة.
- 16- ابن فضلان، احمد بن العباس بن راشد بن حماد(ت309هـ/921م)، (د.ت)، رسالة ابن فضلان، تح: سامي الدهان، المجمع العلمي، دمشق.
- 17- فوزي، حسين، (1943)، حديث السندباد القديم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- 18- الفيل، محمد رشيد، (1979)، اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، ط1، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.
- 19- كحالة، عمر رضا، (1993)، معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- 20- كراتشكوفسكي، اغناطيوس جوليا نوفتش، (1963)، تاريخ الادب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- 21- لوبون، غوستاف، (2012)، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 22- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/1058م)، (1989)، الأحكام السلطانية، تح: احمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت.
- 23- المروزي، شرف الزمان طاهر (ت في القرن السادس)، (2002)، طبائع الحيوان، تح: عبد حميد صالح، مكتبة قطر الرقمية، قطر.
- 24- المسعودي، ابي الحسن علي (ت 346هـ/957م)، (1989)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالمية للكتاب، بيروت.
- 25- مينورسكي، م.ف، (1985)، الجغرافيون والرحالة المسلمون، تر: عبد الرحمن حميده، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.
- 26- ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ/1056م)، (1993)، سفر نامة، تح: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 27- الندوي، السيد سليمان، (2008)، العلاقات العربية الهندية، تر: احمد محمد، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- 28- اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر (ت 292هـ/904م)، (1893)، البلدان، مطبعة بريل، ليدن.

المصادر والمراجع باللغة الانكليزية

- 1- Ahmed, Nafees, (2021), The Efforts of Muslims in Geography, trans. Fathi Othman, 1st ed., Arab Press Agency, Cairo.
- 2- Al-Istakhri, Abu Ishaq Ibrahim bin Muhammad Al-Farsi known as Al-Karkhi (d. 346 AH/957 AD), (2000), Al-Masalik and Al-Mamalik, Dar Sadir, Beirut.
- 3- Badawi, Abdul Rahman, (1993), Encyclopedia of Orientalists, 15th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut.
- 4- Al-Biruni, Abu Al-Rayhan Muhammad bin Ahmed (d. 440 AH/1048 AD), (no date), The Remaining Monuments of Past Centuries, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut.
- 5- Al-Tajer, Suleiman (d. 237 AH/851 AD), (2005), Wonders of the World and Measurement of Countries, trans. Saif Shaheen Al-Marikhi, Zayed Center for Heritage and History, Abu Dhabi.
- 6- Al-Jaafari, Yassin Ibrahim Ali, (1980), Al-Yaqubi the Historian and Geographer, 1st ed., Dar Al-Rasheed for Publishing, Baghdad.
- 7- Hassan, Zaki Muhammad, (2012), Muslim Travelers in the Middle Ages, Hindawi Foundation for Education and Culture, (Cairo, 1433 AH/2012 AD).
- 8- Al-Hadawi, Ahmed, (2016), The Book of Animal Natures, Scientific Academy, Baghdad.
- 9- Ibn Khurdadbeh, Abu Al-Qasim Ubaid Allah bin Abdullah (d. ca. 280 AH/893 AD), (1889), Al-Masalik and Al-Mamalik, 1st ed., Brill Press, Leiden.
- 10- Ibn Rustah, Abu Ali Ahmad bin Omar (d. 300 AH/912 AD), (1894), Al-A'laq Al-Nafisa, 1st ed., Brea Press, Leiden.

- 11- Ramadan, Ahmed, (n.d.), *The Journey and Muslim Travelers*, Dar Al-Bayan Al-Arabi for Printing and Publishing, Jeddah.
- 12- Al-Zarkali, Khair Al-Din, *Al-Alam*, (2002), 15th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut.
- 13- Ziyadah, Nicola, (1987), *Geography and Travels among the Arabs*, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut.
- 14- Sarkis, Youssef bin Ilyan bin Musa, (1928), *Dictionary of Arabic and Arabized Publications*, Sarkis Press, Cairo.
- 15- Daif, Shawqi, (1987), *Travels*, 4th ed., Dar Al-Maaref, Cairo.
- 16- Ibn Fadlan, Ahmad bin Al-Abbas bin Rashid bin Hammad (d. 309 AH/921 AD), (n.d.), *The Message of Ibn Fadlan*, ed. Sami Al-Dahhan, Scientific Academy, Damascus.
- 17- Fawzi, Hussein, (1943), *The Old Hadith of Sinbad*, Press of the Committee for Authorship, Translation and Publication, Cairo.
- 18- Al-Feel, Muhammad Rashid, (1979), *The Impact of Trade and Travel on the Development of Geographical Knowledge among Arabs*, 1st ed., Kuwait Geographical Society, Kuwait.
- 19- Kahala, Omar Reda, (1993), *Dictionary of Authors*, 1st ed., Al-Risala Foundation, Beirut.
- 20- Kratchkovsky, Ignatius Julia Novitch, (1963), *History of Arabic Geographical Literature*, trans. Salah al-Din Othman Hashim, Printing Press of the Committee for Authorship, Translation and Publication, Cairo.
- 21- Le Bon, Gustave, (2012), *Arab Civilization*, trans. Adel Zaiter, Egyptian General Book Authority, Cairo.
- 22- Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib (d. 450 AH/1058 AD), (1989), *Sultanic Rulings*, trans. Ahmad Mubarak al-Baghdadi, 1st ed., Ibn Qutaybah Library, Kuwait.
- 23- Al-Marwazi, Sharaf Al-Zaman Tahir (died in the sixth century), (2002), *Natures of Animals*, trans. Abdul Hamid Saleh, Qatar Digital Library, Qatar.
- 24- Al-Masudi, Abu Al-Hasan Ali (died 346 AH/957 AD), (1989), *Meadows of Gold and Mines of Gems*, International Book Company, Beirut.
- 25- Minorsky, M.F., (1985), *Muslim Geographers and Travelers*, trans. Abdul Rahman Hamida, Kuwait Geographical Society, Kuwait.
- 26- Nasir Khusraw, Abu Mu'in Al-Din Al-Hakim Al-Qabadiani Al-Marwazi (died 481 AH/1056 AD), (1993), *Safar Nameh*, trans. Yahya Al-Khashab, Egyptian General Book Authority, Cairo.
- 27- Al-Nadwi, Al-Sayyid Suleiman, (2008), *Arab-Indian Relations*, trans. Ahmed Muhammad, 1st ed., National Library and Archives, Cairo.
- 28- Al-Yaqubi, Ahmad bin Ishaq bin Jaafar (d. 292 AH/904 AD), (1893), *Al-Buldan*, Brill Press, Leiden.